العهد الملكي.. الطبقة السياسية وتداول السلطة

د. علي العكيدي

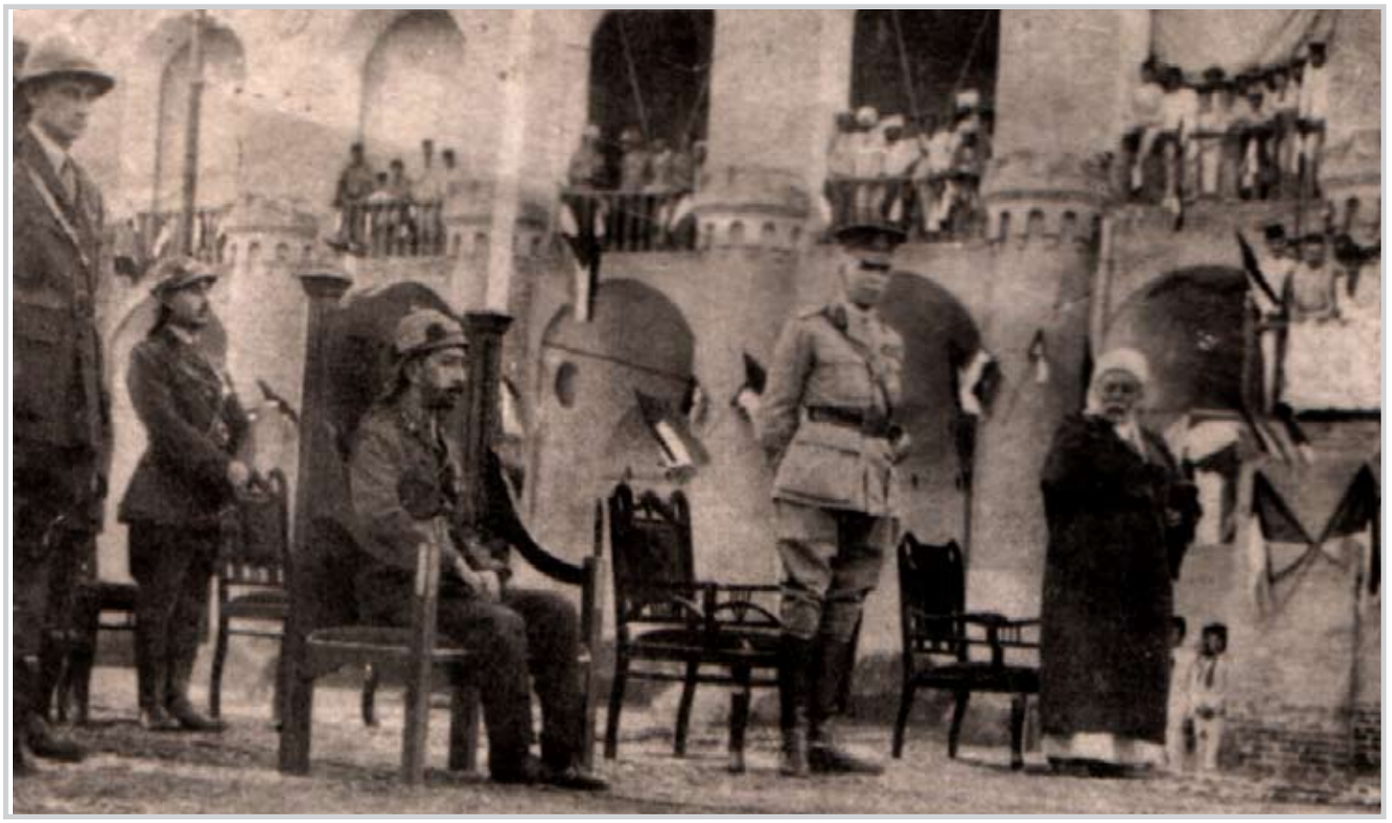

يصفُ جرالد غوري مدينة بغداد ليلة وصول الملك فيصل اليها بقوله: كان أهالي بغداد منتشرين لاستقبال ملكهم الأول الذي دخل مدينتهم وكان عمره آنذاك ستة وثلاثين عاماً، أما مدينتهم فلم تكن كذلك والسبب هو انها لم يكن فيها أي مكان او بناء ملائم يستطيع الملك اختياره بيسر وسهولة ليكون مقراً له فهي ظلت حاضرة غير حقيقية طوال سبعة قرون تقريباً منذ سقوطها بيد المغول اذ فقدت بذلك بناءها وجمالها وقدرتها على الحياة والتأثير في الآخرين التي كانت تتمتع به وبجدارة طوال خمسة قرون مرت على عمرها.

كان العثمانيون يسكنون السراي عند البداية الشمالية لبغداد حيث كانت تشكل تلك البوابة مع البوابات الأخرى والسور المتهدم جزئياً والسدة المحيطة، حدود مدينة بغداد حين وصل اليها فيصل الأول في تموز ١٩٢١، لذلك اتجه الى السراي (أو ما يسمى بالقلعة القديمة) ليسكن فيها وكان يركب سيارة أعدها له البريطانيون.

وعن الطبقة السياسية وانتماءاتها الاجتماعية يتحدث غوري فيقول: وفي بغداد طبقة متوسطة محدودة كانت تتألف من التجار الأغنياء وزعماء رجال الدين ورؤساء العشائر.. ومجموعة من الأسر والعوائل المتنفذة التي كان على الملك فيصل وهو يروم قيادة العراق ان يقنعها بأن تكون من أنصاره، وقد ظلت أسماء معينة تتردد في قوائم الوزراء حتى سنة ١٩٥٨م.. ومن تلك الأسر والعوائل هي اسرة النقيب واسرة فؤاد الدفتري، والشيخ ابراهيم الراوي ورفعت الجادرجي وموسى الباججي ويوسف السويدي وعبدالمجيد الشاوي ومحمد جواد الشبيبي وجعفر أبو التمن، وعبدالغني كبة وفخري الجميل وبيت الخضيري والأورفلي والشابندر، وعلى مستوى العراق قبيلة ربيعة، وزعيم قبيلة عنزة وشمر وأسرة السعدون في المنتفك (ذي قار حالياً) والاسرة البابانية في كردستان وفضلاً عن الرموز أعلاه التي تداولت السلطة بمواقعها المختلفة مدة سبعة وثلاثين عاماً التي تطرق غوري لها فان هناك شخصيتين مهمتين جداً لم يتطرق لهما وكانا من أنصار الملك منذ ان كانا في سوريا ومن الذين شاركوا في الثورة العربية في عام ١٩١٦م ضد الأتراك الى جانب الشريف حسين وأولاده ونوري السعيد وصهره جعفر العسكري اللذين كان لهما اثر كبير في توطيد الحكم الملكي واستمراره في العراق.وفي نظرة متفحصة للواقع السياسي الذي كان سائداً مطلع العقد الثالث من القرن الماضي حين دخل الانكليز العراق وبدأوا مشاوراتهم لتشكيل الحكومة العراقية وبناء الدولة العراقية الحديثة، وما تمخض عن ذلك من مواقف ومشاورات ومداولات ومعاهدات وقرارات سياسية فضلاً عن الاغتيالات والتصفيات السياسية وموقف الشعب من كل ذلك نرى ان الشبه بين الأمس واليوم كان واضحاً، وبداية الشبه تأتي من بداية الفعاليات السياسية، وبما ان الفعاليات تبدأ من حيث تبدأ الشخوص السياسية حركاتها، فان شخوص العهد الملكي أغلبهم كانوا من الذين عاشوا سنوات عمرهم خارج العراق، وهذه هي ملامح الشبه الأول بين الأمس واليوم حيث الرموز التي تدير دفة الحكم اليوم، هي من التي عاشت سنوات حياتها خارج العراق. أما ما يتعلق بالملك وعملية الاستفتاء التي حدثت قبل تنصيبه وكيف كانت النتائج تذهب سريعاً للتصويت له في الوقت الذي لا تعرف فيه اعداد كبيرة من الشعب ما المقصود من ذلك الاستفتاء وكيف ان الانكليز استطاعوا ان يجعلوا من الاستفتاء تظاهرة ديمقراطية في الوقت الذي هو لا يعدو كونه عملية منظمة استهدفت تنصيب الملك رحمه الله. وهذا الأمر له في الواقع الحالي قرين، وقبل العمل على تنصيب الملك فيصل الأول اسهمت بريطانيا في انشاء أول حكومة عراقية مؤقتة كما أشرنا سابقاً ترأسها المرحوم عبدالرحمن النقيب وهذا ما حصل اليوم عند تشكيل حكومة مجلس الحكم والأخرى المؤقتة والانتقالية وهكذا.. وفي عام ١٩٢٤ تأسس المجلس التأسيسي وفق انتخابات جرت لذلك الغرض وقد تم انتخاب أعضائه بطريقة الانتخاب المباشر من الشعب وفق قوائم مفتوحة وليست مغلقة وافتتح أول جلساته الملك فيصل وذلك بتأريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٢٤ وقد تم تحديد مهمات المجلس التأسيسي بثلاثة فقط وهي البت في المعاهدة العراقية . البريطانية، وسن الدستور، وتشريع قانون الانتخابات للمجلس النيابي. وهذا ما يذكرنا بالمجلس الوطني الذي تشكل بعد الاحتلال من مئة عضو عمل على النظر والمصادقة على أشياء قريبة الى حد بعيد من تلك التي نظر بها المجلس التأسيسي في عام ١٩٢٤. أما ما يتعلق بالاغتيالات والتصفيات السياسية فهي الأخرى سادت الشارع العراقي آنذاك حيث تم اغتيال توفيق الخالدي وزير الداخلية وكذلك عداي الجريان وسلمان البراك أعضاء المجلس التأسيسي وآخرين غيرهم، لكن ذلك لم يرقَ أبداً الى ما وصلت اليه التصفيات والاغتيالات في المرحلة الحالية، وعلى الرغم من حالات الشبه العديدة التي تم ذكرها والأخرى التي لم يسعفنا الوقت لذكرها فان هناك الكثير من الفوارق بين الحالتين منها ان سياسيي الأمس أسسوا جيشاً قوياً كان يعد الى حد قريب واحداً من أقوى الجيوش في المنطقة وكذلك جهازاً أمنياً متطوراً وفعالاً واستطاعوا بناء دولة وان كان فيها من الأخطاء إلا انها كانت رائدة في محيطها حتى عقد التسعينيات من القرن الماضي.. أما ما يتعلق بالفساد الإداري فإن أغلب سياسيي الأمس لم يكونوا قد حصلوا على أموال وممتلكات وأصبحوا أغنياء على حساب الشعب الفقير الجائع حتى ان واحداً من أهم سياسيي الأمس وهو المرحوم نوري السعيد الذي تسلم منصب رئيس الوزراء وكذلك منصب وزير سبع وأربعين مرة طوال سبعة وثلاثين عاماً من حياته السياسية في العراق الملكي.. كان هذا الرجل بشهادة الجميع نزيهاً لم يسرف في أموال الدولة ولم يستولِ على أملاك غيره، ومات وهو لم يملك بيتاً خاصاً به.

المراسيم الجمهورية في العراق التي صدرت مباشرة بعد ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨

محمد ابراهيم محمد

بعدَ نجاح ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨ اتخذ الزعيم الركن عبدالكريم قاسم من وزارة الدفاع مقراً لأعماله الرسمية لإدارة الحكومة العراقية الجديدة واجتماعات مجلس الوزراء واصدر في حينها عدة مراسيم جمهورية التي مضى عليها الآن خمسون عاماً اي ما يعادل نصف قرن من الزمن ومنها على سبيل المثال هي:

مرسوم جمهوري عراقي رقم (١) بالغاء النظام الملكي في العراق. مرسوم جمهورية عراقي رقم (٢) باعلان الجمهورية العراقية وتشكيل مجلس السيادة.

مرسوم جمهوري عراقي رقم (٣) بتعيين الزعيم الركن احمد صالح العبدي رئيساً لاركان الجيش العراقي والزعيم الركن صديق حسن المعاون الاداري لرئيس اركان الجيش.

مرسوم جمهوري رقم (٤) باعادة تسمية الوية الجيش العراقي فالغي اسم لواء عبدالاله واستبدله باسم لواء المشاة الخامس واستبدل اسم لواء الملكة عالية بلواء المشاة الرابع واستبدل اسم لواء الملك غازي بلواء المشاة الثاني كما استبدل لواء الحرس الملكي بلواء المشاة الخامس والعشرين.

المرسوم الجمهوري رقم (٥) اعتبار ١٤/ تموز من كل عام عطلة رسمية في العراق.

المرسوم الجمهوري رقم (٦) والقاضي بتعيينات المتصرفين والمديرين العامين وهم على سبيل المثال:

١- امير اللواء الركن المتقاعد صالح زكي توفيق بمنصب مدير السكك العام.

٢- امير اللواء الركن مزهر اسماعيل الشاوي بمنصب مدير الميناء العام.

٣- امير اللواء الركن طارق سعيد فهمي بمنصب متصرف بغداد.

٤- امير اللواء الركن عبدالرزاق عبدالوهاب بمنصب متصرف لواء البصرة.

٥- امير اللواء الركن حسين العمري بمنصب متصرف لواء الكوت.

٦- امير اللواء الركن علاء الدين محمود بمنصب متصرف لواء اربيل.

٧- الزعيم الركن نوري جميل بمنصب وزير العراق المفوض في افغانستان.

٨- الزعيم الركن عبدالوهاب شاتر بمنصب متصرف لواء الحلة.

٩- الزعيم الركن ناجي شاكر بمنصب مدير الاعاشة العام.

١٠- زعيم الجو الركن جسام محمد الشاهر بمنصب مدير الخطوط الجوية العراقية.

١١- الزعيم محمد ابراهيم بمنصب مدير السجون العام.

١٢- الزعيم الركن احمد محمد يحيى بمنصب وزير العراق المفوض في جدة.

١٣- الزعيم فؤاد عارف بمنصب متصرف لواء كربلاء.

١٤- زعيم الشرطة ناظم رشيد بمنصب آمر قوة السيارة.

١٥- العقيد المتقاعد طاهر يحيى بمنصب مدير الشرطة العام.

١٦- الرئيس الاول الطيار المتقاعد محمد سبع مدير المطار المدني.

المرسوم الجمهوري رقم (٧) والقاضي بإحالة عدد من الضباط الى التقاعد وهم:

(الفريق الركن محمد رفيق عارف/ امير اللواء الركن عباس علي غالب/ امير اللواء الركن خليل جميل/ امير اللواء الركن عبد عبيد المضايفي/ امير اللواء الركن غازي محمد فاضل الداغستاني/ امير اللواء الطبيب محمد ناصر/ امير اللواء الركن عبدالرزاق محمد حمدي النجار/ امير اللواء الركن عادل احمد راغب/ امير اللواء الركن نجم الدين خضر/ امير اللواء الركن عمر علي/ امير اللواء الركن عبدالرزاق حمودي/ امير اللواء الركن جميل عبدالمجيد/ امير اللواء الركن اكرم احمد سلمان/ الزعيم الركن انيس وزير/ الزعيم الركن عطا صالح - برتبة اعلى الزعيم الركن عبدالرزاق محمد علي الجنابي/ الزعيم الركن محمود مهدي برتبة اعلى/ الزعيم الطبيب نهاد مراد برتبة اعلى/ الزعيم طاهر عبدالغفور / الزعيم حميد عبودي/ الزعيم فاتل محمود البصري/ الزعيم بهاء الدين رشيد/ الزعيم افرام هندو/ الزعيم محمود بهجت / الزعيم الركن عبدالكريم محيي الدين/ الزعيم الركن صبيح عبدالرزاق/ الزعيم الركن حسن مصطفى/ الزعيم الركن حامد محمد القطات/ الزعيم الركن محسن محمد علي/ زعيم الجو كاظم الشيخ عبادي/ الزعيم الركن احمد مرعي الحاج علي/ الزعيم الركن نوري حسين برتبة اعلى/ الزعيم الركن احمد محمود الجنابي/ الزعيم الركن محمد وفيق عارف/ الزعيم محمد علي البغدادي/ الزعيم عدنان تحسين العسكري/ الزعيم الركن محمد زكي رفيق/ الزعيم سيد امين بكر/ الزعيم الركن شكري محمود نديم/ العقيد الركن صالح مهدي السامرائي/ العقيد عبدالقادر محمود/ العقيد صالح عبدالمجيد السامرائي/ المقدم حمدون سعيد علي/ المقدم محمد فهمي ابراهيم الشمري).

الأعظـــميةأو بـــاب الطـــاق

ستار البغدادي

حبّا الله الاعظمية بماء رقراق يحيطها من جهاتها الثلاث، وهواء عذب واجواء فرحة. كانت تسمى بباب الطاق في العصر العباسي الاول وهي المنطقة المجاورة للاعظمية وغلب الاسم عليها. تتصل الاعظمية برصافة بغداد من جهتها الجنوبية. وكانت في بدء نشوئها الحديث مقصد اثرياء بغداد واعيانها وسراتها نظرا لما تتمتع به من طبيعة خلابة. يخبرنا التاريخ عنها انها كانت مثل منطقة الكسرة او المخرم، مدفناً لملوك الفرس الساسانيين. اما في الزمن العباسي، وبعد ان دفنت في تربتها السيدة الخيزران زوجة الخليفة المهدي وهي ام الخليفة هارون الرشيد. وسماها الناس مقبرة الخيزران باعتبار ان الاسم شهير على عادة الناس في كل زمن. وعندما توفي الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت (رضي الله عنه) وذلك سنة ١٥٠ هجرية ٧٣٠ ميلادية وسكنها مشايعوه. اما السيدة خيزران فقد توفيت بعد هذا التاريخ. وقد اعتاد الناس تسمية الاشياء والاماكن بمن هو اعرف واشهر وخاصة ما يتصل بالملك والخلافة او المال.

تقسم منطقة الاعظمية حاليا الى اربع محلات هي: النصة والشيوخ والحارة والسفينة. وهي تسميات شعبية تعارف الناس على هذه التسميات. فالسفينة التي حملت هذا الاسم لكون السفن الذاهبة والايبة منها والى الكاظمية (مقبرة قريش) ترسو عند هذه المحلة، وكذلك نسبة الى السفن الآتية من الموصل حاملة المنتجات الزراعية كالحنطة والشعير والرقي وغيرها كانت ترسو عند هذه المحلة ايضا.

محلة الحارة ليست لانها منطقة حارة كما يتوهم البعض وانما سميت الحارة لكونها محلة صغيرة بالقياس الى بقية محلات الاعظمية. فيها مسجد الزاهد بشر الحافي ومرقده. وهنا النصة أي المنخفضة عمن يجاورها. لكنها سميت بهذا الاسم لانخفاضها عن مستوى بناء جامع الامام الاعظم وذلك سنة ١٢٨٨ هجرية. ١٨٦٨ ميلادية. وحفرت ارضها لصنع بناء الطابوق حتى أضحت بحيرة عملت البلدية على سحبها فسكنها الناس بمرور الوقت.

تبقى محلة الشيوخ فتنسب احيانا الى تكية بنيت فيها من قبل شيوخ عشيرة العبيد الساكنين فيها، وهناك من ينسبها الى مالكها الشيخ جلال الذي كان مسجده ومرقده فيها. ايد هذا الرأي هاشم الاعظمي اذ عثر على سند صادر من المحكمة الشرعية يرجع تاريخه الى سنة ١١٦٥ هجرية. ١٧٤٥ ميلادية، مذكور فيه انه باسم الشيخ جلال هذا. في هذه المحلة مرقد ابي الحسين النوري. وهذه من اكبر محلات الاعظمية مساحة وسكاناً. اشتهر اهلها بأعمال الدباغة والزراعة والتجارة. بينما محلة السفينة عرفت بصناعة الاحذية الرجالية والحياكة وتنظيم البساتين، والنصة بعمل عربات اللاندون التي تجرها الخيول المختلفة عن مضامير السباق.